بجوهر نيته وحلاله والهمة الجمالية من الموقع الشامل ومصدر رزقه وسوء الدنيا باصله وجزل
عن العجز فوته في اعتذاره ولا بد من التنصيص الواضح لهذا القلب وانه من سلك التقوى
والمشروع وعطاء التي لكل الخضوع ابتغى بحسب التحري والصواب بما كان من نعم الله

محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت عبد الله بن علي يقول سمعت موسى بن عيسى يقول قال لي ابو
يزيد لو نظرتم الى رجل اعطي من الكرامات حتى يرتفع في الهوى فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف
تجدونه عند الامر والنهي وحفظ الحدود واداء الشريعة قال الشارح رضي الله عنه
وهذا صحيح فان الكرامة ما كان عونا للعبد على ما يقربه لمولاه ويقوي يقينه ويمكنه من محبته
ورضاه فاذا جرى الخارق للعادة على يد العبد ولم تشهد الشريعة بالاستقامة دل على
انه مخدوع ممكور به غير مستقيم في سلوكه وانما يعرف توفيق العبد بحسن استقامته
على ما يرضي مولاه ووقوفه عند حدوده التي حدها لا يتعدى من واجباته ومناهيه قال
الامام رحمه الله عليه وحكى عمي البسطامي عن ابيه قال ذهب ابو يزيد ليلة الى الرباط ليذكر
الله سبحانه على سور الرباط فبقي الى الصباح لم يذكر فقلت له في ذلك فقال تذكرت كلمة جرت على لساني
في حال صباي فاحتشمت ان اذكره سبحانه قال الشارح رضي الله عنه وهذا يدل على كمال
تعظيمه لمولاه واستحيائه منه في جميع ما يتعاطاه ودل على ان الرباط على السور انما يكون بذكر اللسان
غالبا ليعرف انه محروس ممن يقصده من الاعداء فمضى ابو يزيد ليلة لينال فضل الحراسة في الذكر
بلسانه غالبا ولهذا قال صاحبه فلم يذكر يعني بلسانه واما ذكر قلبه فلا اطلاع له عليه ولولا
ذكره لربه بقلبه لما كمل استحياؤه منه فلما سأله عن سكوته بلسانه قال له اذكرني الله تعالى
في هذا الوقت كلمة كنت قلتها لا ترضيه فاستحييت منه ان اذكره بلسان عصيت به هذا
الذي اسكتني ومن هذا القبيل ما حكي ان بعضهم صلى خارج المسجد فقيل له لم تركت الصلاة
في المسجد قال خطر ببالي اما تستحي تدخل بيته وقد عصيته ومن هذا القبيل قول بعضهم ان له
سنين عدة ما رفع راسه الى السماء حياء من الله وربما اعترض بعض هذه الاحوال من لم يفقهها
من لم يعرفها ويقول كيف نوى خيرا فاضلا فتركه وكيف ترك الدخول الى المسجد وصلى خارجه
وهو افضل وكيف لم يرفع راسه الى السماء والله منزه عن الجهات فالجواب السهل انها
استحى ممن يراه اطرق براسه لعلمه برؤيته مطلقا وان لم يعلم جهته ولوضح جوابه
من احد من الناس لقل ادلاله عليه واستحييت مما سبق منه والله الموفق قال الامام
رضي الله عنه ومنهم ابو محمد سهل بن عبد الله التستري لم يكن له في
وقته نظير في المعاملات والورع وكان صاحب كرامات لقي ذا النون المصري بمكة سنة
خروجه الى الحج توفي كا قيل سنة ثلاث وثمانين ومائتين وقيل ثلاث وسبعين وقال سهل
ابن عبد الله كنت ابن ثلاث سنين وكنت اقوم الليل انظر صلاة خالي محمد بن سوار وكان
يقوم بالليل فربما كان يقول يا سهل اذهب فنم فقد شغلت قلبي سمعت محمد بن الحسين رحمه
الله يقول سمعت ابا الفتح يوسف بن عمر الزاهد يقول سمعت عبد الله ابن عبد الحميد
يقول سمعت عبيد الله بن لؤلؤ يقول سمعت عمر بن واصل البصري يحكي عن سهل بن عبد الله

قال

قال قال لي خالي يوما الا تذكر الله الذي خلقك فقلت كيف اذكره قال قل بقلبك عند تقلبك
في ثيابك ثلاث مرات من غير ان تحرك به لسانك الله معي الله ناظر الي الله شاهدي فقلت
ذلك ليالي ثم اعلمته فقال قلها في كل ليلة سبع مرات فقلت ذلك ثم اعلمته فقال قل في
كل ليلة احدى عشرة مرة فقلت ذلك فوقع في قلبي حلاوة فلما كان بعد سنة قال لي خالي
احفظ ما علمتك ودم عليه الى ان تدخل القبر فانه ينفعك في الدنيا والاخرة فلم ازل على ذلك
سنين فوجدت لها حلاوة في سري ثم قال لي خالي يوما يا سهل من كان الله تعالى معه وهو ناظر
اليه وشاهده لا يعصيه اياك والمعصية فكنت اخلو فبعثوا بي الى الكتاب فقلت اني لاخشى
ان يتفرق علي همي ولكن شارطوا المعلم اني اذهب اليه ساعة فاتعلم ثم ارجع فمضيت الى الكتاب
فحفظت القران وانا ابن ست سنين او سبع سنين وكنت اصوم الدهر وقوتي خبز الشعير
الى ان بلغت اثنتي عشرة سنة فوقعت لي مسالة وانا ابن ثلاث عشرة سنة فسالت اهلي ان يبعثوا
بي الى البصرة اسال عنها فجئت البصرة وسالت علماءها فلم يشف عني احد شيئا فخرجت الى عبادان
الى رجل يعرف بابي حبيب حمزة بن عبد الله العباداني فسالته عنها فاجابني واقمت عنده انتفع
بكلامه واتادب باداب ثم رجعت الى تستر فجعلت قوتي اقتصارا على ان يشترى لي بدرهم
من الشعير الفرق فيطحن ويخبز لي فافطر عند السحر كل ليلة على اوقية واحدة بحتا بغير
ملح ولا ادم فكان يكفيني ذلك الدرهم سنة ثم عزمت على ان اطوي ثلاث ليال ثم افطر
ليلة ثم خمسا ثم سبعا ثم خمسا وعشرين ليلة فكنت عليه عشرين سنة ثم خرجت اسيح
في الارض سنين ثم رجعت الى تستر وكنت اقوم الليل كله قال الشارح رضي الله
عنه في هذه الحكاية تعليم وتدريج للمريد كيف يتعلم المراقبة واولها ذكر الله تعالى
باللسان مكررا مع حضور القلب فاذا انتبه امره ان يذكره بقلبه خاصة فلهذا قال له قل بقلبك
من غير ان تحرك به لسانك بل عند حركتك وسكونك وتقلبك في ثيابك تقول الله معي والله ناظر
الي والله شاهدي فامره ان يقول ذلك في كل ليلة ثلاث مرات ثم خمسا ثم سبعا ثم احدى عشرة
مرة فهذا التدريج تسهيل لانتقال العبد من شيء الى ما هو اعلى منه وكونه نقله في عدد
الافراد فيه سر وهو ان الله سبحانه فرد يحب الفرد ولهذا جاء التسبيح في اثر الصلاة
ثلاثا وثلاثين ثلاثا وثلاثين وهي افراد فلما دام على ذلك مدة نبهه على فائدته وهو ان
يستشعر ان الله معه وناظر اليه وشاهده لا يعصيه باخلال واجب او ارتكاب
محرم وقوله له دم على ما علمتك الى القبر فانه ينفعك في الدنيا والاخرة فيه اشارة لقوله عليه
السلام لجبريل لما ساله عن الاحسان ان تعبد الله كانك تراه وهذا اول كل خير وهو مراقبة
الله عند الافعال فلما دام على ذلك وجد في نفسه لذة تحمله على ملازمته ذلك فوقعت
له مسلك والظاهر انها من احوال القلوب والمعاملات فيما بين العبد وبين ربه ولم يجد

Copyright © King Saud University